دار الوطن
٣٣٢

الحج

فرصة للشباب

إعداد
القسم العلمي بمدار الوطن

مركز خدمة المتبرعين بالكتاب
الرياض - ص. ب ٣٣١٠ - ت/٤٧٩٢٠٤٢ - ف/ ٤٧٢٣٩٤١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

ها هي نسمات الحج تهب علينا محمّلة بعبير الرحمة، وشذا المغفرة، ورحيق العتق من النار.

ها هو موسم الحج يعود إلينا فيجدد العهد بقوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ [الحج: ٢٧-٢٨].

ها هو موسم الحج تقترب أيامه، فتهفو إليه قلوب أهل الإيمان، وتضطرب أفئدتهم، ولا يقرّ لهم قرار حتى ينتظموا في سلك الحجاج؛ طامعين في العفو والمغفرة وإجابة الدعاء وحصول المأمول..

وحديثي هذا سوف أخصصه لأوسع فئة من فئات المجتمع، وأكثرها أهمية وخطرًا، ألا وهي فئة الشباب.

لماذا هذا التخصيص؟

لأن كثيرًا من الشباب لا يعلمون الفوائد والفرص التي يمكن أن يغتنموها من هذه الشعيرة العظيمة، ولو علموا ذلك؛ لبادروا إلى الحج، ولبذلوا في سبيله كل غالٍ ونفيس. ومن هنا قلنا: «الحج فرصة للشباب».

الحج فرصة للتوبة

فالحج فرصة للتوبة، والإنابة، والانطراح بين يدي الله عزَّ وجلَّ فقد ذكر العلماء أن من آداب الحج التوبة الصادقة من كل المعاصي والذنوب، والندم على ما سلف منها، والعزم على عدم العود إلى شيء منها، والتوبة واجبة دائمًا على العموم في كل وقت، إلا أنها

متأكدة قبل السفر إلى الحج. وهذه التوبة تحتاج إلى بيئة صالحة ترعاها وتسقيها حتى لا يرجع صاحبها ـ بفضل البيئة الفاسدة ـ إلى ما كان عليه من ذنوب ومخالفات، يدل على ذلك حديث الرجل الذي قتل مائة نفس وأراد أن يتوب، فسأل أعلم أهل الأرض فقال له: «ومن يحول بينك وبين التوبة؛ اذهب إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناسًا يعبدون الله تعالى، فاعبد الله معهم» [متفق عليه]، وهذا يدل على أن البيئة الصالحة لها دور مهم في رعاية التائب وحمايته من العودة إلى الانحراف. ومن هنا كان الحج فرصة لكلّ شاب تائب؛ لأنه يوفر له البيئة الصالحة والجو الإيماني الذي يحبّب إليه الإيمان والأعمال الصالحة، ويكره إليه ما هو ضد ذلك من الأعمال والاعتقادات الخبيثة، ويملأ صدره نورًا وهداية وخشية، فيجلس الشاب في هذه البيئة الصالحة أسبوعًا كاملاً إن كان من أهل هذه البلاد وما جاورها، وقد يستمر جلوسه شهرًا أو شهرين إن كان من أهل البلاد البعيدة، فتستقر التوبة في نفسه، ويكره أن يعود إلى المعاصي كما يكره أن يقذف في النار.

الحج فرصة للابتعاد عن صحبة الأشرار

صحبة الأشرار ضررها عظيمٌ، وخطرها جسيم؛ لأن الأشرار يزيّفون المحرمات، ويحسّنون الموبقات، ويقتلون كل نبتةٍ صالحة فيمن يصاحبونه، فكلما همَّ بالتوبة ثبطوه، وكلما عرضت له الإنابةُ أغْوَوْه وفتنوه، حتى يصير واحدًا منهم.

قال ابن حبان: «وصحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار، ومن خادن الأشرار لم يسْلَم من الدخول في جملتهم».

وكثير من الشباب لا يجد الشجاعة في التخلص من صحبة هؤلاء طالما أنه بين ظهرانيهم، فيوافقهم ولا يجسر على مخالفتهم، فتأتي فرصة الحج لتوفر له طريق الخلاص من هؤلاء ولو لفترة محدودة، ولكن عليه أن يكون صادقًا في إقباله على الله في تلك الفترة، وأن يدعو دائمًا بالتثبيت والاستمرار على التوبة، ويدعو كذلك بأن يخلّصه ربّه من فتنة أصحاب السوء والانجراف وراءهم، فإن الله عزَّ وجلَّ لا يرد من دعاه ولا يخيّب من رجاه، لا سيما إن كان صادقًا منيبًا باكيًا مدمنًا لقرع الباب، منتظرًا للفرج من الملك الوهاب.

الحج فرصة لصحبة الصالحين

وعلى الشاب أن يختار جماعة من الشباب الصالح، فيذهب معهم إلى الحج.

فمن آداب الحج: اختيار الرفقة الصالحة، والنبي ﷺ نهى أن يسافر الرجل وحده، وقال ﷺ: «لا تصاحب إلا مؤمنًا» [صحيح أبي داود].

وإذا صحب الشاب الصالحين؛ تأثر بهم في طباعهم وأخلاقهم وحسن سمتهم؛ لأن الطبع يسرق من خصال المخالَطين، فيستنكف بعد ذلك أن يكون عبدًا لهواه وشهواته.

ويستفيد كذلك من صحبتهم أثناء الحج في تعلّم المناسك وإيقاعها على الوجه الشرعي المطلوب.

الحج فرصة للانضباط والاستفادة من الوقت

إن الوقت أغلى ما يملكه المرء؛ لأنه في الحقيقة عمره الذي لا يقدَّر بثمن، والذي هو مادة فلاحه أو شقائه.

والحج فرصةٌ عظيمةٌ للانضباط ومعرفة قيمة الوقت، فكل أعمال الحج منوطة بأوقاتٍ معينة، ففي اليوم

الثامن يتوجه الحجيج إلى منى، وفي اليوم التاسع يقفون على صعيد عرفات، فمن فاته الوقوف في اليوم التاسع ووقف في اليوم العاشر؛ بطل حجه وفسد نسكه، ويبيت الحجيج بمزدلفة ليلة العيد، ويرمون الجمرات أيام التشريق بعد الزوال، فمن رمى قبل ذلك؛ لم يجزئه على الصحيح من أقوال أهل العلم، وهكذا نجد أن عامل الوقت مهم جدًّا في هذه العبادة المباركة.

وعلى الشاب أن يستفيد من ذلك في اغتنام الأوقات فيما يفيد، وأن يشحَّ بوقته أكثر من شحّه بماله؛ لأن المال يعوّض، أما العمر فإنه لا يعوض.

وعليه كذلك أن يستعين بالطرق الصحيحة التي تعينه على حراسة وقته، فتنظيم الأوقات مهم، وفقه الأولويات مهم، واختيار الأوقات المناسبة للأعمال المناسبة مهم كذلك.

الحج فرصة لمحاسبة النفس وإصلاح القلوب

إن مغريات الحياة ومباهج الدنيا تصرف كثيرًا من الشباب عن محاسبة أنفسهم وإصلاح قلوبهم، والحج فرصة عظيمة ليخلو الشاب بنفسه ويسائلها: هل أنا على الطريق الصحيح؟ هل جعلت الإسلام منهجًا لحياتي كلّها؟

هل حققت قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

فإذا رأى الشاب في نفسه تحقيقًا لذلك؛ فليحمد الله على نعمة الاستقامة، وليزدد من الخير أكثر مما هو عليه. وإذا رأى في نفسه تقصيرًا؛ لام نفسه وعاهد ربه

على التوبة والاستقامة، وعمل على إصلاح قلبه بكل وسائل الإصلاح الشرعية، واتخذ من الحج بداية حقيقية لرحلة الانتماء لهذا الدين، والعمل على مرضات ربِّ العالمين.

الحج فرصة للمغفرة والرحمة

كلّ ابن آدم خطاء، فمن منا لا يخطئ؟ ومن منا لا يذنب؟ ومن منا لا يجهل؟ ولكن الأخطاء والذنوب والجهل تكثر كثيرًا في أوساط الشباب، ولذلك حريٌّ بكل شاب أن يتخلص من هذه الذنوب والأوزار، وأن يتعرض لرحمة العزيز الغفَّار، والحج فرصة عظيمة لمغفرة الذنوب والتعرض لنفحات علام الغيوب، قال النبي ﷺ: «من حجَّ فلم يرفث ولم يفسق؛ رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه» [متفق عليه].

وقال ﷺ: «... والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» [متفق عليه].

وقال عليه الصلاة والسلام: «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة».

وقال ﷺ: «ما ترفع إبلُ الحاجّ رجلاً، ولا تضع يدًا إلا كتب الله تعالى له بها حسنة، أو محا عنه سيئة، أو رفعه بها درجة».

فدونك أخي الشاب هذه الفرص العظيمة فاغتنمها، وإياك إياك أن تضيعها فتندم ولات حين مندم.

الحج فرصة للتخلص من العادات السيئة

والعادات السيئة في حياة الشباب كثيرة منها:

١ ـ السهر بغير فائدة.

٢ ـ تضييع الأوقات في غير المفيد من الأقوال والأفعال.

٣ ـ كثرة المزاح والضحك والسخرية والاستهزاء.

٤ ـ سماع الأغاني ومشاهدة المحرمات عبر القنوات.

٥ ـ التدخين وشرب الشيشة وغير ذلك.

٦ ـ المعاكسات بأنواعها.

٧ ـ ممارسة العادة السرية.

٨ ـ حلق اللحى، والإسبال، والتشبه.

٩ ـ الكذب، والغيبة، والنميمة، والحسد، والكبر، والغرور، والفحش.

١٠ ـ التعلق بأشياء يظن الشاب أنه لا يمكن أن يستغني عنها؛ كمتابعة المباريات، وإدمان الإنترنت، والموضة، وغير ذلك.

فالحج فرصة عظيمة للتخلص من كل هذه العادات السيئة وغيرها بشرط أن يصدق في توجهه إلى ربه، وفي دعائه والانطراح بين يديه سبحانه وتعالى.

الحج فرصة للتخلص من حياة الترف

كثير من الشباب تربوا على حياة الترف واللهو والعبث، نشأوا على ذلك ولم يمروا بما مرَّ به آباؤهم وأجدادهم من الشدة وضيق المعيشة وقلة ذات اليد، فأصبحوا يعيشون حياة المترفين، لا يعرفون للنعمة قيمة، ولا يحافظون عليها، ولا يشكرون المنعم سبحانه وتعالى.

وقد يصيب الكبر والغرور كثيرًا من هؤلاء فيظنون أنهم أفضل من غيرهم بسبب ما هم فيه من غنًى وثراء.

ويأتي الحج لينبه هؤلاء إلى حقيقة أنفسهم، بل وحقيقة البشرية كلها غنيّها وفقيرها، قويّها وضعيفها، رئيسها ومرؤوسها، يأتي ليقول لهؤلاء جميعًا: الناس لآدم، وآدم من تراب! هذا خطاب الحج لكل من خلع ملابسه الثمينة وارتدى إزارًا ورداءً أشبه ما يكون بكفن

الميت، والمعنى أنك أيها الشاب، أيها الإنسان، أيها الغني لن تخرج من دنياك إلا بهذين الثوبين، ويبقى بعد ذلك عملك، إن كان صالحًا؛ كنت من السعداء، وإن كان فاسدًا؛ كنت من الأشقياء، فلماذا تتكبر أيها الشاب ومصيرك الجنادلُ والتراب؟ ولماذا تحتقر غيرك وقد يكون أفضل عند الله تعالى منك؟ قال ﷺ: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كلّ ضعيفٌ متضعَّف[1]، لو أقسم على الله لأبرّه. ألا أخبركم بأهل النار؟ كلّ عُتُلٍّ[2] جوَّاظ[3] مستكبر» [متفق عليه].

ومن مظاهر التخلص من الترف في الحج أن الشاب لا يجد الطعام الشهي الذي كان يأكله في بيته، ولا يجد النومة المريحة التي كان يجدها في بيته، بل لا يجد المكان النظيف الذي يقضي فيه حاجته، وإذا تأخر في مكان قضاء الحاجة بضع دقائق وجد الطَّرْق العنيف على بابه؛ لأن عشرات الحجاج في الخارج ينتظرون خروجه! ولكنه مع ذلك كله يشعر بلذة قد لا يجدها في بيته المرتب النظيف، إنها لذة الطاعة وروعة العبودية.

فينبغي على الشاب الفطن إذا أنهى حجّه ورجع إلى بيته، ورأى ما هو عليه من نعمة ورفاهية أن يحمد الله عزَّ وجلَّ ويشكره، وأن يحفظ هذه النعمة ولا يبدّدها ولا يكفرها، ولا يعصي الله تعالى بنعمه، فإن المعاصي تزيل النعم وتأتي بالبلاء والنقم، وعليه كذلك أن يتخشّن في كثير من أحواله حتى لا يتعود حياة الترف التي

---

(١) متضعف: مستضعف.

(٢) عتل: غليظ.

(٣) جواظ: الضخم المختال في مشيته.

تدعو إلى الفساد والغفلة والجرى وراء الشهوات، فالنعيم لا يدرك بالنعيم، والراحة لا تُنال بالراحة، والمجد لا يدرك إلا على جسر المشقة والتعب.

الحج فرصة لمشاهدة عظمة هذا الدين

إن عظمةَ الإسلام تظهر جليًّا في شعيرة الحج حيث يأتي إلى بيت الله الحرام أناس من جميع الأجناس، والفئات، واللغات، والألوان، والعادات، والطبائع، والصفات، كلهم يريدون رحمة الله ورضوانه ومغفرته، فما أعظم هذا الدين الذي جمع كل هؤلاء وصهرهم في بوتقة واحدة وهي بوتقة الإيمان بالله ورسوله ﷺ. وعلى الشاب المسلم أن يبتهج بذلك، ويتشرف بانتمائه إلى هذا الدين، ويعرف أنه من أمة عريقة تخطت حدود الزمان والمكان، يجمعها دينٌ واحدٌ وقِبلة واحدة، وهي تملك كل عناصر الوحدة والقوة والرقي إن هي استمسكت بحبل الله تعالى، وعضّت على تعاليم دينها بالنواجذ.

الحج فرصة لبذل المعروف

ينبغي على الشاب ألاَّ يدخر وسعًا في خدمة ضيوف الرحمن والعمل على راحتهم، وإذا تطوع في العمل مع لجان الدعوة والإرشاد أو الجمعيات الخيرية ومكاتب الدعوة كان ذلك حسنًا، وإذا لم يستطع ذلك فليخدم ضيوف الرحمن بما يستطيع، فيرشد الضائع، ويحمل الضعيف، ويوزع الكتيبات والنشرات والأشرطة المفيدة، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر برفق ولين، ويكثر من النفقة في سبيل الله، ويحسن معاملة الحجيج، ويرشدهم إلى الصواب من الأقوال والأفعال، ويصبر على الأذى، ولا يجهل ولا يؤذي ولا

يغضب، فإن ذلك كله من علامات الحج المبرور الذي ليس له جزاء إلا الجنة.

الحج فرصةٌ لاستجابة الدعاء

من أعظم أعمال الحج ذكر الله تعالى، وإنما شرعت مناسك الحج كلّها لإقامة ذكر الله تعالى، والدعاء من أعظم أنواع الذكر، بل إن النبي ﷺ قال: «ليس شيء أكرم على الله من الدعاء» وهناك مواطن يستحب فيها الدعاء جدًّا في الحج، وهي مظنة الإجابة وهي:

١ـ على الصفا والمروة.

٢ـ في عرفات.

٣ـ في المشعر الحرام (المزدلفة) بعد الفجر في يوم العيد.

٤ـ بعد رمي الجمرة الصغرى والوسطى أيام التشريق؛ فقد كان النبي ﷺ يدعو في هذه المواطن دعاء طويلاً. وقال ﷺ: «أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة» [رواه الترمذي وحسّنه الألباني] وقال ﷺ: «إن الله تطاول عليكم في جمعكم هذا، فوهب مسيئكم لمحسنكم، وأعطى محسنكم ما سأل، ادفعوا باسم الله» [رواه البيهقي وصححه الألباني]، فأكثر أخي الشاب من الدعاء الصالح لك ولوالديك ولإخوانك وأخواتك وقرابتك وجيرانك ومعلّميك وأصدقائك ومن له فضل عليك، لعلّ الله عزَّ وجلَّ يستجيب لك فيرفعك بسبب دعائك إلى علّيين، نسأل الله تعالى أن يمنَّ علينا بحجّ مبرور وذنب مغفور وسعي مشكور، وأن يهدي شباب المسلمين إلى صراطه المستقيم وأن يمن عليهم بالتوبة الصادقة والعمل الصالح، والسيرة الحسنة، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

❊ ❊ ❊